مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أيديولوجيا الخطاب في رواية

" قناع بلون السماء" للكاتب باسم خندقجي

The Ideology of discourse in the novel Qina' bilwan Alsma' "A Mask in the Color of Sky" by writer Basem Khandakji

د. معاذ إشتية

Dr.Muaath Ishtaiyeh

جامعة الاستقلال ـ فلسطين

Istiqlal University-Palestine

moath.shtiah@pass.ps

رقم الأوركيد :

https://orcid.org/0009-0002-6962-1289

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص :

يقوم البحث على تسليط الضوء على أيديولوجيا الخطاب في رواية " قناع بلون السماء " للكاتب باسم خندقجي ؛ وقد رأى الباحث أن الأيديولوجيا في الرواية تنطلق من فكرة الاشتباك مع الآخر الإسرائيلي الكولونيالي، والرد عليه بسردية مضادة تدحض سرديته التي يشوبها التزييف للواقع ، وتنطلق من حرصه على تطويع التاريخ بما يخدم مصالحه الاحتلالية ، وتوجهاته العنصرية .

وقد تناول الباحث أيدلوجيا الخطاب في الرواية بصورة عامة ، قبل أن يبحث في أيديولوجيا الخطاب في العتبات النصية لرواية قناع بلون السماء ، ويعالج أيدلوجيا الخطاب في المتن الحكائي المتعلق بها .

وقد رأى الباحث أن الرواية تطرح أسلوبا مهما في العمل النضالي ، وهو لا يقل أهمية عن الأساليب الأخرى ، وهو مواجهة السرديات التاريخية المضللة التي ينشرها المحتل ؛ لإثبات أحقيته في فلسطين ؛ من هنا ، عالج الباحث

صورة الآخر في ضوء مجموعة من الحقائق التاريخية والواقعية التي تتصل بسيرة مريم المجدلية ، ونكبة 1948، والمخيم ، بالتوازي مع الكشف عن الوجه الحقيقي للآخر الكولونيالي المحتل .

الكلمات المفتاحية : أيديولوجيا ، الخطاب ، رواية ، قناع بلون السماء

Abstract :

The research focuses on highlighting the ideology of discourse in the novel Qina' bilwan Alsma' "A Mask in the Color of Sky" by writer Basem Khandakji. The researcher sees the ideology in the novel as stemming from the idea of confronting the Israeli colonial Other, responding to it with a counter-narrative that refutes its falsifications of reality. This ideology is driven by its manipulation of history to serve its colonial interests and racist tendencies.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

The researcher initially discusses the discourse ideology in the novel broadly before delving into its textual thresholds, examining its discourse ideology within the narrative context. He argues that the novel presents an important method in activist work: confronting misleading historical narratives propagated by the occupier to justify its claim to Palestine. Thus, the researcher analyzes the portrayal of the Other through a series of historical and realistic facts related to Mary Magdalene's biography, the 1948 catastrophe, and the refugee camp, alongside revealing the true face of the colonial

Key words:

Ideology , Discourse , Novel , "A Mask in the Color of Sky"

المقدمة :

تعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية استيعابا للواقع ؛ وهي في بنيتها الفنية تفتح مجالا رحبا للتعبير عن القضايا الإنسانية في أبعادها التاريخية والاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية ؛ وهي الأقدر على نسج الرؤى الأيديولوجية بتقنيات فنية وتراكيب جمالية توازي بين الواقع والخيال ، من هنا ، أصبحت فنا كتابيا عالميا ، يحظى باهتمام المبدعين والمتلقين على حد سواء مقارنة مع الأجناس الأدبية الأخرى .

وقد وعى الكتاب الفلسطينيون مكانة الرواية ودورها وقدرتها في التعبير عن مكنوناتهم وأفكارهم ورؤاهم الأيدليوجية ، فلجأوا إلى اتخاذها فنا إبداعيا يحمل خطابا أيديوليوجيا يتصل بالقضايا السياسية والوطنية والاجتماعية التي تتصل بواقعهم الفلسطيني ، وفي ضوء ذلك ، يسعى هذا البحث إلى الوقوف على أيديولوجيا الخطاب في رواية " قناع بلون السماء " للكاتب باسم خندقجي ؛ الأسير والمحكوم مؤبدا مدى الحياة في السجون الإسرائيلية .

وقد صدرت رواية "قناع بلون السماء " بطبعتها الأولى عن دار الآداب في بيروت سنة 2023م ، وحازت مع مجموعة من الروايات على الجائزة العالمية للرواية الطويلة المعروفة بالبوكر هذا العام 2024، وتتكون الرواية من 239 صفحة من القطع المتوسط ، وقد قسمها الكاتب إلى ثلاثة أقسام يمتد على سبعة فصول، جاءت الأقسام على الترتيب تحمل العناوين الآتية : **نور** ، **أور** ، **سماء** .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتدور أحداث الرواية حول شخصية نور الشهدي اللاجئ الفلسطيني المختص في التاريخ الآثار الذي يسكن في أحد مخيمات اللجوء القريبة من مدينة رام الله ، والذي اتخذ لاحقا في الرواية شخصية أور اليهودي الأشكنازي قناعا له معتمدا على ملامحه الأشكنازية وإجادته للغة العبرية والإنجليزية ، إضافة إلى بطاقة الهوية الزرقاء التي وجدها في جيب الكبوت الذي اشتراه من سوق الخردوات في حيفا ، وساعده ذلك في اختراق المجتمع الإسرائيلي ، والانضمام إلى بعثة الآثار الإسرائيلية ، من أجل كتابة رواية تدور حول أصول مريم المجدليه ونسبها ، في سبيل تحقيق الهدف الأساسي وهو تصحيح ما نسجه دان براون حولها في روايته " شيفرة دافنشي " .

وفرصة الانضمام إلى بعثة الآثار الإسرائيلية سنحت لنور الشهدي هذه الفرصة التعرف إلى شخصيتين يجسد حضورهما ملامح الصراع العربي الإسرائيلي ؛ الأولى ، شخصية أيالا اليهودية التي تحمل فكرا كلونياليا ، والثانية شخصية سماء إسماعيل الحيفاوية التي تمثل عرب فلسطين الداخل ، والتي تحمل بطاقة هوية زرقاء ، لكنها لا زالت بوعيها صاحبة قضية تنتمي إلى هذه البلاد ، وإن الهوية لم تستطع أن تغير ولاءها وانتماءها .

وصحيح أن الرواية تعالج قضايا وتحتوي على كثير من الرموز والشيفرات الإيحاءات ، لكن الباحث في كل ما تناوله الكاتب في روايته يجد أنه يمكن ردها إلى فكرة الخطاب الأيديولوجي الذي يحاول الاشتباك مع الآخر في سرديته الكولونيالية التي تسعى إلى نفي حقوق الفلسطيني في وطنه ، والاستهانة بمأساته ؛ عبر تزوير الواقع وتقديم سردية تخدم مشروع الهيمنة والسيطرة الذي تبناه في وعيه ولاعيه .

وفي ضوء ما تقدم ،يأتي هذا البحث للوقوف على الرواية بوصفها نصا يحمل خطابا أيديولوجيا ؛ وقد قسم الباحث بحثه إلى قسمين إضافة للملخص والمقدمة ؛ حيث تناول في القسم الأول ، أيديولوجيا الخطاب في الرواية بوصفها

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

خطابا أدبيا ، أما في القسم الثاني فبحث في الخطاب الأيديولوجي في رواية " قناع بلون السماء " حيث تناول أيديولوجيا الخطاب في العتبات النصية في رواية " قناع بلون السماء " ، ثم بحث في أيديولوجيا الخطاب في المتن الحكائي للرواية ذاتها .

الأهداف :

يهدف البحث إلى :

1. البحث في النص في رواية "قناع بلون السماء " بوصفها خطابا أيديولوجيا .
2. البحث في الأبعاد الأيديولوجية في العتبات النصية لرواية "قناع بلون السماء"
3. الوقوف على الأبعاد ذات البعد الأيديولوجي في المتن الحكائي للرواية .
4. تحليل الأحداث والأقوال بوصفها جزءا من الخطاب الأيديولوجي في الرواية .

أهمية البحث :

تبرز أهمية البحث في كونه يتناول النص الروائي بوصفه خطابا أيديولوجيا يعبر فيه الكاتب عن أفكاره ورؤاه تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية والوطنية ، ويكتسب البحث كذلك أهميته في كونه يتناول رواية "قناع بلون السماء "وهي رواية حديثة صدرت سنة (2022م)،وحازت على جائزة البوكر هذا العام 2024 م ، وهي نموذج لأدب السجون الذي لم يقتصر على تناول السجن وما يتصل به من ظروف إنما يتناول القضايا المحيطة ذات البعد الوطني والعربي والعالمي .

منهجية البحث :

يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الأحداث والأقوال التي تعبر عن مواقف أيديولوجية ، واستنطاقها في سياقاتها وتحليليها وتحديد الأبعاد الأيديولوجية التي تعبر عنها .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إشكالية البحث :

ينطلق البحث من فرضية ترى في رواية "قناع بلون السماء " خطابا أيديولوجيا يعبر عن أفكار الكاتب باسم خندقجي ، التي لا تمثله وحده ، إنما تمثل كثير من الكتاب وشرائح المجتمع الذين آمنوا بها ؛ وتعبر عن أدب ملتزم لا ينفصم عن الواقع ، إنما يعبر عنه.

القسم الأول : أيديولوجيا الخطاب في الرواية

إن كلمة أيديولوجيا هي مصطلح يوناني يقصد به ، فن البحث في التصورات والأفكار (المنجد ،1986، ص184) ؛ والأيديولوجيا ؛ علم موضوعه دراسة الأفكار ومزاياها وقوانينها وعلاقتها مع العلامات التي تعبر عنها وبالأخص أصولها . (موسوعة لالاند ، 2001، ص611)

ويعد الأدب خطابا ؛ لأن الخطاب هو كل إنتاج ذهني سواء أكان نثرا أم شعرا ، منطوقا أم مكتوبا ، فرديا أم جماعيا ، ذاتيا أم مؤسسيا ، (فوكو ، 2007،ص8) ؛ وهو في تكوينه يشكل نسقا من العلامات الدالة الخاصة بالأفراد أو المجموعات أو حتى الموضوعات ، وكل نسق من الأنساق الخطابية له سمات خاصة تميزه عن غيره من الأنساق ؛ حيث يمكن تصنيفه إلى خطاب زيد أو عمر ، أو الخطاب العربي أو الخطاب الفلسفي أو غير ذلك من بنيات الخطاب اللامتناهية . (الفجاري ، 1435 هـ،ص532)

ويختلف الخطاب الأدبي عن غيره من الخطابات ؛ فهو نسج مقصور لذاته ؛ ذلك أن لغة الأدب تتميز عن لغة الخطاب العادي بمعطى جوهري ؛ إذ ينشأ الكلام العادي عن مهارات تكتسب بالمران والملكة ، لكن الخطاب الأدبي يصاغ بوعي وإدراك ودراية ؛ فاللغة فيه ليست وسيلة لتوصيل الأفكار والدلالات فقط ؛ إنما هي غاية يراد منها التأثير .(المسدي ، 1994 ، 112)

وفي ضوء ذلك ،فإن الرواية خطاب أدبي ، وإن الموقف الذي يعبر عنه الكاتب تجاه الأشياء معتمدا على بنيتها السردية وقالبها اللغوي يأخذ بعدا أيديولوجيا ؛ إنما يأتي عبر تخير الأشياء وتأويل الوقائع بكيفية تظهرها دائما مطابقة

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لما يعتقد أنه الحق ، (العروري ، 2012 ، ص 10) ؛ وهنا ، تصبح الأيديولوجيا مكونا رئيسا لمحتوى الخطاب الروائي ؛ فالخطاب الروائي هو قالب لغوي وبنية إبداعية جمالية ، محملة بأفكار الكاتب وأحاسيسه التي هي في ماهيتها تشكل الأيديولوجيا التي تحملها شخصيات الرواية في فضاءاتها وعلاقاتها وحواراتها وتحولاتها وسلوكاتها .

وإن الإيديولوجية في الخطاب الروائي هي أيديوجية تُحمل على تشكيل أدبي فني دال وموح ، يسمو عن الوقوع في فخ المباشرة الفجة ولغة التقرير البالية . (حسين ،2002، ص11) فالرواية ليست سردا وصفًا للأحداث ؛ إنما هي نسيج لغوي وفني تُستبطن فيه أفكار الكاتب ورؤاه ؛ التي تحتاج إلى متلق يستكشفها ويدرك مراميها وأبعادها ويفك رموزها .

وهكذا ، تصبح الرواية خطابا موجها تحت تأثير الأيديولوجيا التي تتفاعل داخله ، على أن الأيديولوجيا في الخطاب الروائي هي أيديولوجية محايثة وباطنية نابعة من بنيته الداخلية من ناحية ، وهي أيديولوجية وظيفية تتحقق بمدى دلالة وتأثير الموضوع الخارجي من ناحية أخرى ، إذ إنها تجسد المفهوم العام من بنية الخطاب الروائي ، والدلالة المؤثرة من مجمل هذا الخطاب . (العالم ، 1994، ص28) .

القسم الثاني : أيديولوجيا الخطاب في رواية " قناع بلون السماء "

يمكن الوقوف على أيديولوجيا الخطاب في رواية " قناع بلون السماء " من بعدين ؛ الأول ما يتصل بالعتبات النصية المتمثلة بالعنوان وصورة الغلاف والإهداء والتصدير ؛ أما الثاني فيتعلق بالبحث في أيديولجيا الخطاب في المتن الحكائي للرواية ؛ علما أنهما في القسمين يشكلان خطابا واحد يضيء أحدهما على الآخر بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

أولا : أيديولوجيا الخطاب في العتبات النصية

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إن العتبات النصية في الأعمال الأدبية هي النوافذ التي تطل عليها ؛ وهي اختيارات واعية وموحية وغالبا ما تجمع بين سمتي الجذب والدلالة العميقة ، من هنا ، فهي رموز ومفاتيح يستطيع المتلقي أن يوظفها لفهم مرامي النص وفك شيفراته وسبر أغواره ، وبذلك هي جزء لا يتجزأ من النص الروائي بوصفه خطابا يحمل أيديولوجيا

تفاعلت في رأس المبدع ووعيه قبل أن يترجمها إلى عمل أدبي ، من هنا ، فإن الدراسات النقدية الحديثة تولي اهتماما بدراسة العتبات النصية والإفادة منها وبها ؛ فتدرس العنوان وصورة الغلاف وغيرها مما يتصدر النص الروائي إضافة إلى العناوين الداخلية والنصوص التوجيهية والهوامش .

وتتكون العتبات النصية في رواية " قناع بلون السماء"من ، العنوان وصورة الغلاف ، الإهداء ، التصدير

ـ العنوان وصورة الغلاف :

جاء العنوان " **قناع بلون السماء** " في صيغة الجملة الاسمية ، التي حذف المبتدأ منها ؛ ويمكن تقديره بـ (هو) ليصبح العنوان (هو قناع بلون السماء) ؛ ويلاحظ أن العنوان ذو دلالة حسية بصرية ؛ فالقناع في دلالته المعجمية مادي وحسي ، كما أن لون السماء حسي يمكن إدراكه بالبصر . وإن أية قراءة للرواية يلحظ القارئ أن القناع خيط بارز في نسيجها ؛ فالمتعن بصورة الغلاف يجد ما يوحي بذلك ؛ إذ ، إن القناع في الرواية لم يكن حاضرا بصورته المادية ؛ إنما جاء بدلالته المعنوية ؛ فالقناع هنا ، قناع الملامح الإشكنازية والشكل الخارجي للشخصية ، مضافا إليها لاحقا إتقان اللغتين ؛ العبرية والإنجليزية ثم الحصول على الهوية الإسرائيلية الزرقاء مصادفة ؛ كل ذلك في مطلع الرواية كان ضروريا لاختراق المجتمع الإسرائيلي من أجل تحقيق غاية البحث في أصول مريم المجدلية ، وعلاقاتها لكتابة رواية مضادة لرواية داون براون " شيفرة دافنشي " ؛ فداون بروان نزع عن مريم فلسطينيتها ، وحاول أن يلصق إليها ما يسيء بمكانتها الدينية والاجتماعية ، يقول : " **كان قد شاهد رواية " شيفرة دافنشي " فيلما سينمائيا ، من بطولة توم هانكس بيد أن النص أشعله أكثر ليقوده إلى اقتفاء حقيقة المجدلية ، أليس هو الباحث والمشغوف بالتاريخ والآثار ؟ ... لماذا ينتزع كاتب أجنبي المجدلية من سياقها التاريخي الجغرافي الفلسطيني ليلقي بها في مهاوي الغرب ؟ لماذا ؟** " (خندقجي ،2023، ص24)

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وفي سبيل كتابة روايته نجد الشخصية المحورية التي تدور في فلكها الرواية شخصية نور الشهدي الذي استثمر ملامحه ولغته قبل أن يستثمر معهما هويته الزرقاء للاندماج في مجتمع لا يمكن أن يتقبل وجوده ، وأظهر أن فلسطينيته لا تسمح باندماجه في مجتمع صفته كولونيالية وعنصرية ، يقول :" **كانت العربية لغة قلبه ، والإنجليزية لغة عقله ، والعبرية لغة ظله ، وملامحه الإشكنازية ؛ فأصبحت الملامح قناعا يرتديه عندما يبيع طاقة عمله في الأسواق والميادين الصهيونية** " . (خندقجي ، 2023، ص41)

وجاء القناع بلون السماء أزرق ؛ دلالة على الهوية الزرقاء التي تمنح اليهودي الإسرائيلي امتيازا ذا بعد قداسي سماوي ؛ تعطيه حق الشعور بالتفوق والاستعلاء على الآخرين بالملامح الإشكنازية والدين واللغة إضافة لبطاقة الهوية الزرقاء ، التي لولاها ما استطاع نور (أور) أن يحظى بالالتحاق ببعثة التنقيب عن الآثار في منطقة مجدو . يقول مخاطبا صديقه الأسير مراد :" **للاسم مناعة يا مراد ، وللقناع حصانة ، وأنا عثرت على قناع واسم لأتسلل ، من خلالهما إلى أعماق العالم الكولونيالي ... إذ أشعر وأنا أتجول في شوارع تل أبيب والقدس الغربية أن ملامحي الإشكنازية المكللة بهذا الاسم .. أشعر بأنني بطل خارق ، متنكر بزي معين ، لكي يخفي ملامحه الحقيقية مثل باتمان ،سبايدرمان سوبرمان** " . (خندقجي ،2023،ص56)

أما صورة الغلاف فتشي بما يحمله عنوان الرواية ، فالمتمعن في الصورة يجد أن هناك شخصية نور تتخلى عن شخصية أور وتنفصل عنها ، وإن كانت تشبهها في ملامحها، فهناك ما يجعلها تشبه ملامح هذه الأرض ؛ من هنا جاء لباس نور مختلفا ، وبدا ذا قامة أطول من أور ، مرتاحا يقف على قدم واحدة ثابتة ؛ وهنا توحي الصورة أن التفوق هو تفوق الحق والمبادئ الذي يعلو على الملامح والهوية الزرقاء في نهاية المطاف ؛ وقد أكدت على ذلك بعض العناصر والمكونات الأخرى للصورة ، سواء خلفيتها الخاصة بقبة الصخرة المشرفة أم في الزي الفلسطيني ، أم في صورة الهوية الزرقاءالتي بدت ملقاة على الأرض بعد أن مزقها نور وتخلى عنها ، وانتصر لفلسطينيته في نهاية الرواية . " **ينتشل بطاقة الهوية الزرقاء من جيبه ، هوية أور شابيرا ، يستعرضها أمام ناظري سماء ، ثم يمزقها بعنف ليلحقها بالقلادة** " . (خندقجي ، 2023، ص238)

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

واللافت في صورة الغلاف هي صورة البلالين السوداء التي عبرت عن الشكل النضالي الذي اتخذته السلطة الفلسطينية في رام الله في الذكرى السبعين للنكبة ، واستحضار الكاتب يعبر عن موقف أيديولوجي ساخر من هذا الطقس النضالي ، يشي بشيء من السخرية ؛ يقول مخاطبا صديقه الأسير مراد : " **ثمة شعب أو بعض شعب أو بقايا شعب تضامن في ذكرى النكبة الماضية بإطلاق أكثر من سبعين بالونا أسود اللون في سماء رام الله ومخيماتها ، ألم يصلك من هذه البالونات أيها اللاجئ الأسير مراد ؟! .. آه اعذرني نسيت أن السجن لا سماء له** " . (خندقجي ،2023، ص138-139)

ـ الإهداء :

جاء الإهداء الذي صدر به خندقجي روايته على النحو الآتي :

"**إلى عمي خالد .. رفيقي العتيق المبدئي دوما ، وإلى عمتي نادية ابنة حارة الياسمينة القوية أبدا** " ؛ (خندقجي ،2023، ص5) وقد خص الكاتب عمه خالد وعمته نادية بالإهداء ؛ لأنهما كانا وما زالا مثليه الأعلى في النضال والكفاح الذي تجسد بما يحمله من فكر أيدلوجي على صورة رواية مقاومة ، فعمه أحد قادة العمل الوطني المحسوبين

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

على الحزب الشيوعي الفلسطيني ، وهو الحزب الذي انضم إليه باسم ، أما عمته فهي مناضلة فلسطينية تعد من أوائل النساء الفلسطينيات اللواتي نفذ عليهن الحكم بالسجن الإداري في السجون الفلسطينية [1].

ـ التصدير :

صدّر الكاتب روايته بسطور شعرية مقتبسة من ديوان " جدارية محمود درويش " ، حيث جاءت السطور **على النحو الآتي :** (درويش ،2009، ص22)

غنيت كي أزن المدى المهدور

في وجع الحمامة

لا لأشرح ما يقول الله للإنسان ،

لست أنا النبي لأدعي وحيا

وأعلن أن هاويتي صعود .

ففي هذه السطور محاولة لإبداء البساطة والتواضع الذي أبداه درويش في جداريته ، وهنا يتخذ الكاتب درويشا معادلا له ، ويعبر عن نفسه بلسانه ؛ حيث نزع عن نفسه صفة القداسة فيما رواه وسيرويه ، ورأى أنه

بروايته يعبر عن وجع إنساني ؛ فهو ليس نبيا يدعي وحيا في هذا الصوت الروائي ، إنما ينقل وجعه الذي بدا أشبه بالهديل الذي يلازم الحمامة ، لكنه لم يفقده الأمل في أنه سيأتي اليوم الذي تتحول فيه هاويته إلى صعود نحو فلسطينيته وحقه في وطنه السليب ؛ وهذه الرؤية تتناسب مع الخاتمة التي انتهت بها الرواية بعد أن انتصر نور إلى

[1] . بناء على اتصال أجراه الباحث مع يوسف أخي الكاتب بتاريخ 2024/6/20

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فلسطينيته وخلع قناعه الأشكنازي ونزع قلادة نجمة داود من عنقه ومزق بطاقة الهوية الزرقاء ، وخاطب سماء إسماعيل قائلا : أنت هويتي ومآلي . (خندقجي ، 2023، ص238)

ثانيا : أيديولجيا الخطاب في المتن الحكائي للرواية .

يقصد بالمتن الحكائي الحكاية كما يفترض أنها قد حدثت في الواقع ، أي بمراعاة منطق التتابع والتراتب ، وهو لا يكون إلا في حالة بناء (تودوروف ، 1982، ص229) ؛ ويمتد المتن الحكائي في رواية "قناع بلون السماء على ثلاثة أقسام تفرعت إلى سبعة فصول .

وإن الباحث قي أيديولوجيا الخطاب كما عبر عنها المتن الحكائي في رواية "قناع بلون السماء " يجد أنها تنطلق من حرص الكاتب على الاشتباك مع الآخر في سردية مضادة تسعى لفضح أكاذيبه وأساطيره عبر الاستناد إلى حقائق تاريخية ودينية وواقعية وسياسية ووطنية ، وهذه الشكل من الاشتباك مع الآخر المحتل ومواجهة روايته لا يقل عن أهمية عن النضالات الميدانية والأفعال المقاومة ؛ فصحيح أن (نور) الشخصية المحورية في الرواية ، لم يكن مقاوما ميدانيا ، ولم يتعرض للسجن ، إنما عرف كيف يمكن أن يؤدي ذلك عبر مشروعه الروائي المزمع ، يقول مخاطبا صديقه الأسير مراد :" **يسرني أن أعلن أيضا أنني عزمت على إحالة البحث إلى رواية ، سأزودك بفحواها وتفاصيلها قريبا .. فأنا مشتبك يا صديقي ، مشتبك يوميا مع هذا الواقع الذي أعمل به ، في القدس يا مراد ، أنا أتجرع أكاذيب وأساطير ملعوب بأسفل سافلها ، أتجرعها ثم ألفظها بمناعتي وحصانتي وعزمي على مواجهة الاغتصاب التاريخي الذي نتعرض له منذ نكبتنا على الأقل** .. (خندقجي ،2023،ص 25-26)

وإن البحث في سيرة مريم المجدلية عنوان لافت في هذا الاشتباك ؛ حيث حولها الراوي إلى هاجس يقض مضجع نور الشهدي ؛ فقد وجد نفسه مضطرا إلى الاشتباك مع ما حملته رواية داون براون "شيفرة دفنشي " ؛ لأن فيها مغالطات تاريخية حول مريم المجدلية ، ورأى أن براون كان في روايته حول المجدلية يخاتل التاريخ ويتخيله ، (خندقجي ،2023،ص24) ؛ وفي ضوء ذلك راح الكاتب على لسان الراوي يستعرض بين الفينة والأخرى بعضا من جوانب

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

البحث في أصولها وتاريخها وحياتها وعلاقاتها في الأناجيل الأربعة إضافة إلى القرآن الكريم ، يقول على لسان نور الشهدي :" **إن المسكوت عنه هو مادتي الروائية ، لهذا يجب قراءة تأويلية للأناجيل الأربعة الإزائية ، إضافة إلى تأويل الآيات التي تشير إلى المجدلية** " . (خندقجي ، 2023، ص54)

وهكذا ، يصبح البحث في سيرة مريم وإثبات هويتها وأصولها الفلسطينية جزءا من الخطاب الإيديولوجي المقاوم الذي تقوم عليه رواية " قناع بلون السماء " ؛ وهو اشتباك في ظاهره مع رواية براون ، لكنه في باطنه اشتباك مع الأخر في صراع السرديات المبني على مصادر تاريخية ، من هنا ، حاول الكاتب على لسان نور الشهدي أن يستعرض بعضها ، يقول :" **أما حول الوجود التاريخي للمجدلية ، فثمة رواية وردت في كتاب " الرواية الذهبية " تؤكد على أن المجدلية من قصر مجدلون ، وهي قرية مجدلة أو المجدل** " . (خندقجي ، 2023، ص113-114)

ويذهب الكاتب مذهبا ذا بعد أيديولوجي حين يرى فيه أن الاشتباك مع الآخر الكولونيالي يمكن أن يكون عبر اختراقه ، وانتحال اسمه لتحقيق أهداف سياسية ووطنية دون الذوبان فيه والانصهار في بوتقته ، وهو طريقة وأسلوب نضالي مقاوم ؛ للرد على انتهاكاته التي لا تنتهي ؛ من هنا ، فلا بأس أن يتخفى نور الشهدي اللاجئ الفلسطيني بقناع أور شابيرا الإشكنازي الكولونيالي إذا كان ذلك في سبيل خدمة المصالح السياسية والوطنية ، يقول نور الشهدي :" **أنا أجد متعة في تمرير شخصيتي كأور شابيرا ، هذا الاسم مذهل ! القناع يمنحني اكتفاء تاما ، ممارسة هذا الاسم على أرض الواقع الكولونيالي هو انتهاك بحد ذاته للاسم الآخر الذي انتهكني منذ ولدت من رحم الأزقة ، أنا لم انتحل الاسم فقط ، بل تخيلته ، امتلكت الجرأة عن التخيل ، جرأة الذي ليس لديه شيء ليخسره في عالم الخسران والنكران هذا ..** " (خندقجي ،2023، 57-56)

ولا شك أن قناع الملامح الذي استخدمه نور قد منحه امتيازا ظاهريا وساعده في اختراق الآخر ؛ لكنه عرّفه بحقيقة مجتمع المحتل الكولونيالي في تل أبيب أصبحت تختلف عن أية مدينة في هذا العالم ، بعد أن بلغت فيها العنصرية حدا مذهلا لا يمكن تخيله ؛ أصبح مجتمعها يتعامل مع الناس بناء على ملامحهم ، التي خلقوا عليها ، ولا دخل لهم فيها ، يقول :" **لأذهل من أهمية الملامح والوجوه في الميادين والطرقات الصهيونية ، الملامح تصنيف مسبق في تل أبيب ، ولكنها ليست كذلك في أماكن أخرى .. فملامحي أصيلة كملامح العديد من أبناء شعبي المحتل**

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

، وما قمت به ليس سوى التحايل على قيمة الملامح لدى المعايير الصهيونية الكولونيالية ، قيمة الملامح تستمد معانيها من العنصرية والأحقية الإلهية والتصورات والأحكام المسبقة ؛ إذ إن وجهي الساحر هذا لا يمنحني تفوقا في نيويورك أو باريس أو لندن ، إلا أثناء إغوائي لامراة حسناء ، أما هنا فهي تمنح غير ذلك الكثير ، تمنح بسخاء ". (خندقجي ،2023،ص70)

ويعقد الكاتب مقارنة بين الواقع الإسرائيلي الذي تمثله تل أبيب ، والواقع الفلسطيني الذي تمثله مدينة رام الله ، وإن مقارنته هذه ، لم تكن انتصارا لرام الله ، بقدر ما أبدت إدانة لها ، ونقدا للحال التي وصلت إليها بعد أوسلو ومفاوضات السلام ، ويستحضر بأسلوب ساخر كتاب رئيس الوفد المفاوض في عملية السلام صائب عريقات المعنون بـ " الحياة مفاوضات" وهو بهذا الاستحضار يقدم موقفا أيديولوجيا من مخرجات مفاوضات السلام مع العدو الإسرائيلي ، يقول : " **هنا في رام الله لا يوجد أقنعة ، كما لا يوجد ملامح ، هنا نور أقل من إنسان وأكثر من كائن تهالكت هويته وطوردت واصطيدت والتهمت ، لا حياة في رام الله ، فالحياة مفاوضات ، والمفاضات بحاجة إلى شارع ، والشارع هو العبد المعبّد** ... " (خندقجي ،2023،ص73.72)

وتأخذ نكبة 1948 م حيزا من المتن الحكائي في الرواية ، وهنا ، لم يتحدث عن النكبة كحدث عابر إنما يتبنى موقفا أيديولوجيا ؛ فيتناولها في بعدها الإنساني ، حيث يذكر سياسة المحتل التي تقضي بطمس الشواهد الدالة على النكبة ، وإخفاء آثار الجرائم التي تدينه ، يقول :" **اللعبة بدأت منذ سبعين عاما ، حين زرع أجدادك هذا الجبل بالجثث والأشجار لإخفاء بقايا معالم قرية أبو شوشة التي هجرتم أهلها ، وقتلتموهم إبان نكبة 1948م** . (خندقجي ،2023، ص147)

والاحتلال لم يقف عند حد إنكار النكبة ، وإخفاء معالم الأمكنة ، وتغيير ملامح القرى التي قتل وهجر أهلها بل يمنح هذه الأماكن والقرى أسماء جديدة ، ويبني أمجاده على أطلال الشعب المنكوب ويخفي آثار جريمته بزراعة الأشجار الخضراء فوق الجثث والمعالم ، فها هو يقيم مستوطنة مجدو على أنقاض قرية اللجون " ـ **قل : كيف نبلغ مستوطنة مجدو ؟ ـ بل اللجون ، إنها قرية بأكملها مدفونة أسفل أقدامكم ، يا إلهي ، كم أنتم بارعون بإزالة آثار الجريمة يا**

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

رجل ؟! باللون الأخضر ..بالأشجار ، أينما وجدت الأشجار في بلادي فتلك نكبتي " . (خندقجي ،2023، ص177)

ويعقد الكاتب في روايته مقاربة بين نكبة 1948م وبين الهولوكوست التي تعرض لها اليهود على يد النازية ، ويستغرب من حرص المحتل على إنكار النكبة ، والترويج لمأساة الهولوكوست في ظل وجود الشواهد التي تؤكد النكبة وتشير إليها ، يقول :" **إن النكبة يا صديقي هي النصب التذكاري للمحرقة ، هذا ما تشهد عليه ، على الأقل هذه الأشجار من حولي ، وهي أضحت شواهد لقبور منسية وضحايا مهمشين ، كانوا في يوم من الأيام سكان قرية أيو شوشة المنكوبة** " . (خندقجي ،2023، ص157)

ويشير الكاتب في متنه الحكائي إلى بعض من الملامح العقلية والنفسية للآخر الكولونيالي ، الذي يحرص على أسطرة مآسيه وأوجاعه في مقابل الاستهانة بأوجاع الآخرين ومآسيهم ، حيث يعقد مقارنة بين المخيم الفلسطيني بوصفه حالة مأساوية ، وبين الغيتو اليهودي ، يقول : " **هذا هو الفرق أيضا ما بين المخيم و"الغيتو" اليهودي في أوروبا ، الفرق في القدرة على أسطرة المأساة والإمعان في تخيلها ، هم أسطروا وتخيلوا كما يجب إلى الحد الذي خلقوا فيه مخيما وشتاتا ولجوءا لنور وأمثاله** " . (خندقجي ،2023، ص16)

وفي متنه الحكائي نجد الكاتب يستخدم تقنية المونولوج الداخلي ، حيث يعقد كثيرا من الحوارات بين نور الذي يمثل السردية الفلسطينية و أور الذي يعبر عن سردية العدو الكولونيالي ، وتشي هذه الحوارات بالفجوة الكبيرة بين الشخصيتين والخلاف العميق بين وجهتي نظر ؛ ينقل الكاتب على لسان أور بعضا من الأقوال التي تعبر عن الفكر الكولونيالي الذي يقوم على سردية تنطلق من الإحساس بالتفوق والتعالي والاستعلاء ، وتهدف إلى تزوير الحقائق ؛لتبرير احتلال الأرض والسيطرة على مقدراتها ، يقول :

." نحن نور لكم ..نور الأغيار ..جئنا إلى هذه الأرض لنصلح خرابها ، هل تعلم أن هذا الكيبوتس وأراضيه الشاسعة كانت مستنقعا للأوساخ ؟ " (خندقجي ،2023، ص204)

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

، وفي هذا الحوار نجد (أور) يرى أن إنسانية نور منقوصة دون اتخاذ هويته واسمه قناعا له ، كما يرفض أن يمنح نورا صفة إنسان لأنه يرى أن هذه الصفة ستشكل خطرا وجوديا على أور . (خندقجي ،2023، ص234)

الخلاصة والاستنتاجات :

يخلص البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات ، وهي على النحو الآتي :

1.تعد رواية "قناع بلون السماء " خطابا أيديولوجيا ، يعبر فيه الكاتب عن موقفه من كثير من القضايا ذات البعد الاجتماعي والساسي والوطني .

2. تنطلق الايديولوجيا في رواية "قناع بلون السماء من " فكرة الاشتباك مع الآخر المحتل الكولونيالي ؛ وهو اشتباك يقوم على سردية مضادة لسردية الاحتلال التي تقوم على تزوير الحقائق ، وكتابة التاريخ بما يخدم الفكر التوسعي والعنصري الذي قام عليه .

3. شكلت سيرة مريم المجدلية ونكبة 1948 والمخيم عنوانا في الخطاب والكشف عن الوجه الحقيقي للآخر المحتل منطلقا للاشتباك الذي قامت عليه الرواية .

4. حرص الكاتب الكشف عن بعض سمات المجتمع الإسرائيلي الكولونيالي الذي يتعامل مع الآخرين بناء على ملامحهم ويشعر بالتفوق عليهم ، ويستهين بمأساتهم ، وينفي حقهم في الوجود على أرضهم .

5. يشكل اتفاق أوسلو واحدا من القضايا السياسية التي عبر فيها الكاتب عن رؤية أيديولوجية .

6. تبنى الكاتب موقفا أيديولوجيا يتصل بمخرجات الربيع العربي ، وبين أثر هذا الربيع على القضايا القومية والوطنية .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

التوصيات والمقترحات :

يوصي بالباحث بـ :

1.ضرورة البحث في الرواية العربية بوصفه خطابا أيديولوجيا يعبر عن قضايا تتصل بالحياة والوجود والإنسان .

2. أن يؤسس هذا البحث لأبحاث تتناول الأيديولوجيا من بعدها الاجتماعي ، وأبحاث أخرى في بعدها السياسي ، وغيرها .

3. دراسة الأيديولوجيا الخطاب المقارن الذي يبحث في صورة الأنا بوصفها ندا للآخر ؛ وذلك في إطار الكشف عن سرديتين ؛ سردية تقاوم الإلغاء ، وسردية تحاول تزوير الواقع وتغيير الحقائق فيه .

4. البحث في الرموز الشخصية والتاريخية والسياسية والكشف عن الأبعاد الأيديولوجية التي تمثلها .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الأول
العدد الرابع و العشرون مجلد.1 ص.ص 316-333 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المصادر والمراجع :

1.تودوروف ،تازفتان : **نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)** تر ،إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين وشبكة الأبحاث العربية ، بيروت ،1982م .

2.حسين ،محمد عبدالله : **أيديولوجية الخطاب الروائي عند يوسف القعيد** ، مجلة الدراسات العربية ، جامعة المنيا ، كلية دار العلوم ، مجلد 1، العدد 7، 2002م .

3.خندقجي ، باسم : **قناع بلون السماء** ، دار الآداب للنشر والتوزيع ،بيروت ،2023م .

4.درويش ، محمود : **جدارية محمود درويش** ، رياض الريس للنشر والتوزيع ،بيروت ،ط3، 2009م .

5. العالم ، محمود أمين : **أربعون عاما من النقد التطبيقي : البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة** ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 1994م .

6. العروري ، عبدالله : **مفهوم الإيديولوجيا** ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط8، 2012م .

7.الفجاري ،مختار : **مفهوم الخطاب بين مرجعية الأصل الغربي وتأصيله في اللغة العربية** ، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية ، المدينة المنورة ، العدد 3، 1435هـ .

8.فوكو ، ميشال : **نظام الخطاب** ، ترجمة : محمد سبيلا ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2007م .

9. المسدي ،عبدالسلام:**المصطلح النقدي** ، مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله للنشر والتوزيع ، تونس ،1994م .

10.المنجد الأبجدي ، دار المشرق ، بيروت ، ط5، 1986م .

. تعريب خليل أحمد خليل ،منشورات عويدات ، بيروت ، ط2، 2001م .**G.A** 11.موسوعة لالاند ، المجلد